جمهورية مصر العربية
جامعة الزقازيق
المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم

مجلة
حضارات الشرق الأدنى القديم

دورية علمية محكمة

http://www.east.zu.edu.eg

الزقازيق

العدد الثانى – السنة الثانية– أكتوبر ٢٠١٦ م–الجزء الثانى

رقم الإيداع ١٨٤٣٥ - الترقيم الدولى (٥٣٣٥ - ٢٠٩٠)

مطابع جامعة الزقازيق

عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمي الدولي

حضارات الشرق الأدنى القديم ومؤثراتها عبر العصور

الذى أقيم خلال الفترة من ١٣–١٥ مارس ٢٠١٦

بالمعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم–جامعة الزقازيق

بالتعاون مع كلية التربية الأساسية جامعة بابل

الرحلات الجماعية المقدسة
وعلاقتها بمدلول الحج لدى الشعوب القديمة

أ.د. عبد المعطي بن محمد عبد المعطي سمسم
أستاذ التاريخ القديم جامعة أم القرى–المملكة العربية السعودية

الرحلات الجماعية المقدسة وعلاقتها بمدلول الحج لدى الشعوب القديمة

أ.د. عبد المعطي بن محمد عبد المعطي سمسم
أستاذ التاريخ القديم جامعة أم القرى

أن الدارس للحياة الدينية لدى شعوب العالم القديم يجد أن هناك تشابه كبير في أداء بعض الشعائر الدينية الجماعية، حيث تكون هناك طقوس دينية جماعية تقوم بها الشعوب وفق شعائر محددة زمنيين ومكانيين،وبالتزامات محددة،في أيام معلومة من السنة لمرة أو أكثر، حيث تنطلق في شكل جماعي إلى أماكن مخصصة تتصف بالطابع المقدس، وهي كبيرة الشبه بشعيرة الحج التي عرفتها مكة منذ عهد الخليل عليه السلام (١٩٤٠-١٧٦٥ ق.م) وأقرها الإسلام بعد تهذيبها وتخليصا مما ابتدع فيها عبر العصور، بالقيم والتعاليم الإسلامية الخالدة كأحد أركان الإسلام – الركن الخامس – وفي الحقيقة أن المتصفح في التراث الديني القديم الذي وصلنا للشعوب القديمة، يجد أن هناك تشابه كبير بين معظم تلك المعتقدات الدينية لمعظم تلك الشعوب، من حيث تشابه المعبودات في الصفات والوظائف، وفي أداء الشعائر والطقوس الخاصة بها، و إدارة مؤسساتها الدينية، مع الأخذ في الاعتبار الاختلاف الواضح في تأدية تلك الشعائر بين البيئة الصحراوية والبيئة الزراعية، حيث عرفت البيئة الزراعية حياة دينية معقدة، في حين عرف أصحاب البيئة الصحراوية حياة دينية بسيطة،[١] وخاصة سكان غرب آسيا.[٢]

الحج لغة واصطلاحاً لدى الشعوب القديمة

وبادئ ذي بدء وقبل الخوض في التعرف على أوجه الشبه بين تلك الرحلات الجماعية المقدسة وبين مدلول الحج الذي تعارفنا عليه في الجزيرة العربية ينبغي علينا الوقوف على المدلول اللغوي والاصطلاحي للحج لدى الشعوب القديمة، فقد ورد لفظة الحج في الكتابات المصرية القديمة، و تعنى القصد، والنور والضياء، وربما قصد بها اللون الأبيض، الأشبه بنور الشمس وضياء القمر، وقد يقصد بها الوجه البشوش، أو قصد بها النور الآلهي [٣] وقد ظلت اللفظة

---

[١] محمد خليفة حسن احمد، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، القاهرة، دار قباء، ١٩٩٨م، ص٤١.

[٢] جيمس هنري برستد، انتصار الحضارة (تاريخ الشرق الأدنى القديم)، نقله للعربية احمد فخري، القاهرة، مكتبة الانجلوا المصرية، بدون تاريخ، ص ٩١.

[٣] نديم عبد الشافي السيار، المصريون أول الحنفاء، القاهرة،مكتبة حراء، ٢٠٠٤م، ١/ص ٤٦٦-٤٦٧.

المصرية القديمة d?h الدالة على هذه الشعيرة في اللغتين اليونانية القديمة (آجيوس Agios) وفي اللغة القبطية (آجيوس Agioc)، واللتين تعنيان قديس أو مقدس. حيث إن جذع الكلمة اليونانية – agi يتطابق مع الكلمة الهيروغليفية d?h والنهاية os– هي النهاية الإعرابية اليونانية للمذكر.[١]

وكما وردت لفظة الحج في اللغات السامية القديمة المختلفة، حيث جاء ذكرها في معظم كتابات الشعوب السامية القديمة، وكذلك ذكرتها أسفار التوراة، وتعني رحلة الإنسان لزيارة أماكن مقدسة، أو زيارة أصحابها، في أيام وأوقات معلومة، وفق طابع مقدس، لكونها أيام دينية بحته، يتوجه فيها الإنسان إلى معبوده، وفق شعائر ومناسك تعبدية تقام في شكل جماعي وسط ابتهاج وسرور وتنتهي بأعياد شكر لقضائها.[٢]

و جاء ذكر اللفظة في الكتابات التي عثر عليه في بلاد العرب الجنوبية، للدلالة على مسمى أحد شهور السنة، وأطلق عليه (ذجحتن) أي (ذي الحجة) ويقصد بها حرمانية الشهر (الشهر المحرم)، وأنه شهر تؤدى فيه شعائر دينية مقدسة،[٣] وكذلك عثر على لفظة الحج في الكتابات العربية الشمالية والتي عثر عليها في شمال الجزيرة العربية،والتي تطلق لمسمى شهر يطلق عليه Aygathalbaeith وهي تعني (حج البيت) وهي مكونة من كلمتين بعد تحريفهما، وتعني في الأصل كلمة واحدة (حجة البيت) أو (حج البيت)، وقد جعلوا منه أشهر معلومة للحج إلى بيت الله وفق ومواسم ثابتة حرصوا على أدائها فيها.[٤]

وفي صحاح اللغة العربية الحج: القصد لمعظم ، وقيل كثرة القصد لمعظم، كما قيل:الحج الكف يقال: حجج عن الشيء، وحج كف عنه. وقيل الحج القدوم يقال: حج علينا فلان أي قدم، وقيل:الحج أن يشج الرجل فيختلط الدم بالدماغ، وقيل: الحج أن تفلق الهامة فتنظر هل فيها عظم أو دم. كما قيل: الحج (الغلبة بالحجة) فيقال حجة يحجه حجا ادا عليه على حجته. وذكر الحج (كثرة الاختلاف والتردد) وفي التهذيب: حججت فلانا إذا أتيته مرة بعد مرة، فقيل حج البيت لأنهم

---

(١) انظر:

Adel Farid Tobia, h?d=agios=agioc = حاج and other Egyptian Words, Hieroglyphic, Demotic and Coptic survived in Modern Spoken Egyptian and Classical Arabic, Abgadiyat vol. (Alexandria 2008), 56-57.

(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، بيروت، دار العلم، ١٩٧٨م، ٣٤٧/٦ – ٣٤٨.

(٣) جواد علي، المفصل، ٣٤٨/٦.

(٤) جواد علي، المفصل، ٣٤٨/٦ – ٣٤٩ – (لمزيد من التفاصيل).

يأتونه كل سنة، أي يقصدونه ويزورونه أي (قصد مكة للنسك)، وجاء في اللسان: الحج التوجه إلى البيت بالأعمال المشروعة فرضاً وسنة، نقول حججت البيت أحجه حجا إذا قصدته، والحج القصد وأطلق على المناسك لأنها تتبع لقصد مكة، وقيل الحج قضاء نسك سنة واحدة، وذو الحجة شهر الحج سمي بذلك للحج فيه[١]، والحج: القصد وقد تعارف على استعماله لقصد مكة للنسك وذو الحجة شهر الحج،[٢] وفي المعجم الوسيط[٣] الحج: القصُد في أشهر معلومات إلى البيت الحرام، للنسك والعبادة، كما عُرف بالحج الأكبر: وهو الذي يسبقه الوقوف بعرفه، والحج الأصغر: الذي ليس فيه وقوف بعرفه ويسمى العمرة.

الحج (الرحلات الجماعية المقدسة) لدى الشعوب الشرق الأدنى القديم

وردت لفظة الحج في الحضارة المصرية القديمة، إلاّ أنها لا تعني الحج بلفظته العربية وشعائره، مع أن الشعوب المصرية من أوائل الشعوب التي قامت بمثل هذه الاحتفالات الدينية، التي تشبه الى حد كبير مدلول الحج عند العرب، فيذكر هيرودوت[٤] **أن المصريين كانت لهم أعياد عامة كثيرة ولم يكن لهم عيد شعبي واحد، ويحدد هيرودوت أن من أهم تلك الأعياد، عيد الآلهة "لأر تميس" في مدينة (بوباسطيس) ويليه عيد الآهة "إيز يس" في مدينة (بوزير يس)، وثالث في مدينة (سايس) للآهة "لأثينا"، ورابع في مدينة (هبليويوليس)، وخامس في مدينة (بوطون) للآهة "لأثينا"، وسادس في مدينة (بايريميس) للآهة "لآريس"، لقد كان المصريون يخرجون الى تلك الأماكن في مواكب عظيمة رجالا ونساء، وبشتى الطرق البرية والنهرية وسط قرع الطبول، والمزامير والغناء والتصفيق،وقد يبلغ أعداد أولئك القادمين السبعمائة ألف من الرجال والنساء عدا الصبية،حيث يقدمون الضحايا والنذور والقرابين، حاملين تماثيلهم ومعبودا تهم الهامة.**

---

[١] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، بيروت، دار العلم، ١٩٧٨م، ٣٤٧/٦ – ٣٤٨.

[٢] إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، ط٢، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م،٣٠٣/١

[٣] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.

ونتيجة لهذا ارتبطت مع المعبودة "سخمت" التي يُرمز إليها باللبؤة (أنثى الأسد)، فاعتبرتا مدمرتين لأعداء الشمس معاً، وحاميتين لها من الموت. وكانت "سخمت" تمثل النيران وقلب الشمس المدمر.

[٤] هيرودوت، هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، تقديم وشرح احمد بدوي، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ص١٥٩-١٦١، ١٦٤-١٦٥.

كما عرفت حضارات بلاد الرافدين شعائر دينية أشبه بشعيرة الحج،فقد كانت الأعياد الدينية هي أعياد للمعبدات، يشارك فيها الناس بأداء الطقوس وتقديم القرابين، وقد تعددت تلك الأعياد في بلاد الرافدين، إلا أنها عرفت ضخماً، يعد من أهم أعياد بلاد الرافدين وهو عيد رأس السنة في مدينة بابل، حيث يشمل هذا العيد احتفالاً مهيبا يبدى فيه الملك خضوعه للمعبود، وسط جموع غفيرة من الحجاج الوافدين من كل مدن بلاد الرافدين، حيث تهرع إلى المدينة وسط شعائر وطقوس دينية متعارف عليها [١]ويعرف هذا الاحتفال بـ (اكيتو)، ويرجع تاريخه في بلاد الرافدين منذ الألف الثالثة قبل الميلاد،وتستمر طقوسه أحد عشر يوماً، شاركت فيه معظم مجتمعات حضارات بلاد الرافدين، وكان في السابق يقام في مدينتي (نفرو) و(أور) ثم كان في بابل حيث بلغ أوج ازدهاره في عهد الدولة البابلية، ومن الجدير بالذكر أن معظم القادمين كانوا يحملون تماثيلهم إلى هذا المعبد وقت حجهم،[٢] كما عرفت بلاد الرافدين أعياداً دينية كثيرة بالإضافة الى عيد رأس السنة، فهناك أعياد للمعبودات حامية المدن، تقدم فيها القرابين المقرونة بالصلوات بعد تقديم الأضاحي، وهي العادة التي عرفتها معظم الشعوب السامية.[٣]

وكذلك الحال في حضارات سوريا،حيث عرفت شعوب سوريا تلك العادة الدينية وشعائرها، فقد كان الكنعانيين يخرجون إلى الأماكن المقدسة التي نصبت في العراء البعيدة عن مواضع سكناهم، وخاصة تلك التي الواقعة على التلال (الأماكن المرتفعة) في وسط الطبيعة عند الينابيع وبين الأشجار، فينصبوا أحجارهم المقدسة التي يعتقدون أنها مسكن الآلهة، ويقدموا لها القرابين التي تضم الضحايا البشرية والحيوانية[٤]،كما تميزت الأعياد الدينية الفينيقية بطابع أشبه بطقوس الحج،فقد كانت معظم معابد المدن تقام في أعالي التلال القريبة من المدينة، ومن أشهرها معبد ادونيس، القريب من مدينة بيبلوس، الذي كان يقام له عيد يومه الناس من بيبلوس ومن جميع المدن الفينيقية، حيث تسير جحافل الناس نحو جبال لبنان، وتتوقف في نقاط محدده يعتقدون أن

---

(١) سبتينو موسكاني،الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر، بيروت، دار الرقي، ١٩٨٦م، ص٨١.

(٢) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، عادات وتقاليد الشعوب القديمة، بغداد، جامعة الموصل، دار الكتاب للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص ١١٥، ١٨٠. ربما حمل بعض الحجاج بعد إتمام مناسكهم في مكة، وأثناء عودتهم بعض أحجار الحرم الموجودة حوله، فينصبونها بديارهم، إنما يفعلون ذلك هوي لمكة وحباً وتشوقاً للكعبة،التي كان لها مكانة لا تعلوها مكانة عند العرب قاطبة. انظر: أحمد عبد الغفور عطار،الكعبة والكسوة (منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم)، ط١، بيروت، منشورات وزارة الحج،المملكة العربية السعودية، ١٩٧٨م، ص ٦٦.

(٣) محمد خليفة، رؤية عربية، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٤) سبتينو موسكاني،الحضارات السامية، ص ١٢٩؛ محمد خليفة، رؤية عربية، ص ٢٢٨-٢٢٩.

ادونيس توقف فيها في رحلة صيده حتى معبده، الذي يقيمون حوله الاحتفالات تخليداً لذكراه، في شكل احتفال جنائزي لمدة ثلاث أيام تقدم فيه القرابين من ولائم وفواكه وطيور وزهور[١]، كما كان أهالي تدمر يقومون باحتفالات سنوية للمعبود بيل–مردك في معبده،ويقدمون فيها القرابين والضحايا.[٢]

الحج (الرحلات الجماعية المقدسة) في الحضارة اليونانية والرومانية

وإذا ما اتجه الباحث نحو بلاد الإغريق واليونان، نجد على الرغم من أن الدين والتدين لم يكن له سلطان قوي على الثقافة اليونانية، ولم يكن لهم تراث ديني ولا كتاب مقدس، فأن الحضارة اليونانية لم تكن بعيدة عن أداء مثل تلك الطقوس و الشعيرة، فقد كانت تقام احتفالات كبيرة عند معبد دلفي Delphi الذي كان يحظى باحترام كبير لدى الشعوب اليونانية، واعتقدوا انه مهبط الوحي، وان المعبود ابوللو هو الذي أوحى إليهم ليبنوه،فكانوا يقدمون إليه من كل المدن اليونانية كل ثماني سنوات للقيام بهذا الاحتفال[٣]، كما كانت الشعوب اليونانية تخرج في جماعات أشبه بالحج إلى مدينة اوكارنى Acharnae، حيث تمثال أرتمسيس، و يحجوا إليه كل أربع سنوات، كما كانوا يقومن بنفس الشعيرة إلى اثينا حيث كانوا يحجوا إلى معبودها بارثنوس، الذي يُعد أحد أهم التماثيل اليونانية، و يحج إليه كل من استطاع من المواطنين.[٤]

ولم تلك الشعيرة والرحلات الجماعية المقدسة ببعيدة عن الشعوب في الحضارة الرومانية، فقد توارث الرومان طقوس الحج أو الرحلات الجماعية المقدسة عند اليونانيين، إضافة للقدس (أورشليم) التي كانت في الأصل محجة لليهود منذ القرن الثالث عشر ق.م، واستمرت نظرة التقديس لهذه المدينة والحج إليها، حتى بعد انتشار الديانة المسيحية في الإمبراطورية الرومانية، وتحديداً في عهد الإمبراطور الروماني قسطنطين في القرن الرابع الميلادي، حيث اتخذها

---

(١) ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، مراجعة طه حسين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م، ص١٦٨-١٦٩.

(٢) سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية، ص ٣٦٤.

(٣) هارفي بورتر، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ط١، القاهرة، مكتبة مدبولي،١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٢١١-٢١٢.

(٤) و.ل. ديورنت، قصة الحضارة، موقع الوراق الكتروني، ص ١٨١٧، ٢٢٢٤.

مسيحيو الإمبراطورية محجة لهم كما فعل اليهود، وان المسيح عليه وعلى رسولنا الكريم السلام حج للقدس وتعلم فيها، وَوَعظ بها.[١]

ومن الجدير بالذكر هنا لتأكيد توافق المجتمعات القديمة في أداء الشعائر الدينية في شكل جماعي موحد ما ذهب إليه برستد:[٢] من أن معظم الشعوب التي سكنت غرب أسيا، في مصر وبلاد الرافدين، وسوريا، كانوا يرمزون للحياة المتجددة بشجرة، ويقيمون لها احتفالاً كبيراً كل عام – عادة الغربيين اليوم بالاحتفال برأس السنة – حيث كانوا ينصبون شجرة ويزينونها، ويقصدها الناس من كل مكان في احتفال ذي مظهر ديني مقدس.

الحج (الرحلات الجماعية المقدسة) في الحضارة الهندية وشرق آسيا القديمة

وإذا ما انتقلنا إلى الرحلات المقدسة في الحضارة الهندية القديمة،فأن المصادر تشير على الشعوب الهندية كانت تخرج في شكل مجموعات إلى أماكن مقدسة من أجل أداء مناسك تعبودية سنوياً، فكانوا يحجون سنوياً إلى نهر الغانج بهدف التطهير بمائه، ويلقون فيه رماد أمواتهم.[٣] ومنهم من كان يتجه إلى هيكل باغرنات أو هيكل ألورا في حيدر آباد – وهو هيكل محفور في الصخر – ، كما كان بعضهم يحجون إلى معبد بوذا بجزيرة (منا) قرب سيلان (سيرلانكا)، بالإضافة إلى العديد من البحيرات المقدسة،كما عرف الصينيون تلك الرحلات الجماعية المقدسة فكانوا يخرجون إلى معبد تيان، كما كان اليابانيون يوفدون إلي هيكل عظيم مشهور في ولاية أسجي، الذي توجب زيارته في معتقداتهم للفرد ولو لمرة واحدة في العمر، حيث يتوجهون إليه بلباس أبيض مخصوص أو بقطعة سوداء وهم عراة ليس عليهم إلا ما يستر عورتهم ويتجهون إليه ركضاً.[٤]

الحج (الرحلات الجماعية المقدسة) في الديانتين اليهودية والنصرانية

---

[١] عبد الحميد زايد، القدس الخالد، تقديم عبد العظيم رمضان، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص ١٥٨-١٥٩.

[٢] برستد، انتصار الحضارة، ص ٩١.

[٣] هدى درويش، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية اليهودية– المسيحية – الإسلام،ط١،عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الجيزة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م،ص٢٣.

[٤] فؤاد عبد الحميد عنقاوي، مكة الحج والطوافة،ط١، مكة المكرمة، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م، ص٣٢.

لقد عرفت الديانتين اليهودية والنصرانية هذه الشعيرة، فمنذ القرن الرابع عشر كان اليهود يحجون ثلاث مرات في السنة إلى تابوت العهد في القدس، [١]حيث كان اليهود يحجون إلى قطعة من جدار السور القديم لهيكل سليمان المزعوم، في الجهة الغربية من المسجد الأقصى والذي يعرف بـ (البراق)، وبعد أن دمر القائد الروماني تيتوس المدينة وشيد مكان مقر التابوت معبر المعبود جوبير الروماني، واستمرت نظرة التقديس لهذه المدينة والحج إليها،وبعد اعتناق للإمبراطور الروماني قسطنطين الديانة المسيحية في منتصف القرن الرابع الميلادي، اتخذها مسيحي الإمبراطورية محجة لهم كما فعل اليهود، على اعتبار أن السيد المسيح عليه وعلى رسولنا الكريم السلام حج للقدس وتعلم فيها، وأوعظ [٢]، وبخاصة عند كنيسة القيامة، على أثر ما قام به الإمبراطور قسطنطين من أجل توحيد الإمبراطورية الرومانية تحت حكمه وما أسداه للنصارى من فضائل جعلتهم يضعونه في مرتبة القديسين، حيث أسبغ الإمبراطور قسطنطين حمايته على النصارى وسماحه لهم بحرية العبادة وبناء الكنائس، وظهور أهمية الأماكن المقدسة في مصر والشام وفلسطين في الحج المسيحي، فشهد عصره أول رحلة حج نظامية إلى الأراضي المقدسة في فلسطين وكانت تلك الرحلة لوالدته القديسة هيلانة، والتي زارت فيها كثيراً من الأماكن المقدسة عند النصارى، وهي الأماكن التي عاش فيها السيد المسيح عليه السلام أو تنقل بينها. وكانت رحلتها بمثابة ضوء أخضر أمام النصارى كافة للاقتداء بها في الحج إلى الأراضي المقدسة بفلسطين في شكل رحلات جماعية لزيارة المزارات الدينية التي تشكل في مجموعها مناسك الحج المسيحي، خاصة بعد عثورها على الخشبة التي كان قد أعده الرومان لصلب السيد المسيح عليه.[٣]

---

[١] يعود تأسيس المدينة عهد الملك ملكي صادق الذي حكم في القرن التاسع عشر ق.م.، أي زمن إبراهيم (عليه السلام)، حيث كان ملكا على اليوبوسيين وكانت عاصمته يبوس أو أور ساليم، وتعني مدينة السلام، وهو نفسه يعني اسمه الملك العظيم. وقد قدم ملكي صادق العون لإبراهيم (عليه السلام) عند مجيئه من حرَّان إلى أرض كنعان، حيث أعطاه عشرا من أمواله. انظر: عبد الله سليم، تاريخ فلسطين القديم بين الأساطير التوراتية وحقائق التقنيات الأثرية، ص ٣٩؛ عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، ص ٣٩-٤٠؛ محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم في بلاد العرب، لجنة التأليف والترجمة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٠هـ، ص ١١٣-١٣٨؛ عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، ص ٤٠؛ كارين أرمسترونج، القدس: مدينة واحدة، عقائد ثلاث،ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٦٦-٦٧؛ Josephus, Complete Works, Eng. trans. W. Whiston, London, 1981, p. 151: S. Yeivin, "the Sepulchers of the Kings of the House of Davis," Journal of Near Eastern Studies, 7(1948), 40; R. Vaux, Histoire ancienne d'Israel, Paris, 1971,72ff.

[٢] عبد الحميد زايد، القدس الخالد، ص ١٥٨-١٥٩.

[٣] اسحق عبيد، "قصة عثور القديسة هيلانة على خشبة الصليب أسطورة أم واقع"، المجلة التاريخية المصرية، عدد ١٧(١٩٧٠)، ص ٥-٢١.

ومن الجدير بالذكر هنا الإشارة إلى رحلة إيثيريا في القرن الرابع الميلادي[١] والتي قد قدمت معلومات مهمة عن (القدس)، حيث سألت الأدلاء المرافقين لها عن هذه القرية فأخبروها أنها كانت بلدة الملك "ملكي صادق Melchizedek" والتي كانت تدعى قديماً شاليم بالعبرية أو ساليمSalim، أما زمن إيثيريا فكانت تدعى سديم Sedima . كما تشير إلى أطلال قصر الملك "ملكي صادق". وتشير إيثيريا إلى أن الطريق الذي ساروا فيه بين نهر الأردن وقرية سديم هو نفس الطريق الذي رجع منه إبراهيم (عليه السلام) إلى سدوم Sodom، حيث خرج لاستقباله الملك "ملكي صادق"، ملك شاليم[٢] وبعد عثورها عليها بحسب معتقداتهم بنت كنائس عظيمة فائقة في مكان قبر السيد المسيح (حسب المعتقد النصراني)، ومكان الجُلْجُلة[٣] وبيت لحم، وجبل الزيتون، وطور ثابور،[٤] والأماكن الأخرى التي تردد السيد المسيح عليها، وبنت أيضاً هياكل كثيرة،[٥]وخلفت ورائها وكلاء لعمارة البقية، وأعطتهم ذهبا كثيراً.[٦] وهي الرحلة التي أعطتنا صورة تاريخية مبكرة عن البقاع الدينية في كل من مصر وبلاد الشام وبلاد الرافدين (الشرق الأدنى القديم) في القرن الرابع الميلادي، وصورة للاحتفالات والأعياد الدينية النصرانية، إضافة إلى التصور المبكر للحج إلى بيت المقدس وزيارة الأماكن الدينية المقدسة الواقعة في مصر والشام، والمقصود من الشام هنا إقليم الشام بما فيه فلسطين.[٧] وكذلك عرف المسيحيين رحلات مشابهة إلى كل من كنيسة القديس

---

(١) هي إحدى المسيحيات القادمات من غرب أوروبا للقيام برحلة حج إلى فلسطين،على هدي الإمبراطور هيلانة إلى الشرق،حيث قامت والدته هيلانه برحلة دينية إلى فلسطين بغية زيارة المزارات الدينية المقدسة في فلسطين. انظر: اسحق عبيد، "قصة عثور القديسة... "، ص ٥-٢١.

(٢) The Pilgrimage of Etheria, pp. 25-26. Cf. Genesis, xiv, 13-19.

(٣) هذا المكان يدعى في الإنجيل الجمجمة أو وبالعبرية جلجثة. وهو المكان الذي اقتيد إليه السيد المسيح ليصلب، حسب المعتقد النصراني. انظر، العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٩. انظر أيضا، إ. س. سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، ترجمة حسان مخائيل اسحق، دمشق ٢٠٠٦، ص ٣٢٥.

(٤) جبل تابور أو ثابور: يرتفع في محيط مدينة الناصرة؛ ويتردد اسم هذا الجبل مراراً في التوراة. وحسب الرواية المسيحية فإن الرب تجلى على هذا الجبل، وتخليداً لذكرى الحدث المقدس شيدت في المكان كنيسة التجلي عام ١٩٢٣م. انظر، سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، ص ٣٤٣.

(٥) مؤلف مجهول، تاريخ ملوك القسطنطينية، تحقيق أ.د. طارق منصور، نشر مصر العربية، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٢٥-٢٨.

(٦) عن العمائر التي أقامتها هيلانة في فلسطين أثناء رحلتها انظر: تاريخ ملوك القسطنطينية، ص ٢٩-٤١؛ خليل سركيس، تاريخ القدس المعروف بتاريخ أورشليم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٠٠-١٠٢.

(٧) عبد المعطي بن محمد سمسم، المزارات الدينية في مصر والشام وبلاد الرافدين في القرن الرابع الميلادي في ضوء رحلة إيثريا Etheria،حوليات آداب عين شمس، المجلد ٤٢، ابريل –يونية ٢٠١٤ م، ص ٢١٣.

بطرس (بولس) في روما،وكنيسة لورده في جنوب فرنسا، لاعتقادهم بظهور السيدة مريم عليها السلام لأثنين من الرعاة توعظهم.[١]

الحج (الرحلات المقدسة) في حضارات الجزيرة العربية القديمة

لقد ارتبط الحج إلى مكة بالعقل العربي منذ تأسيسه، فقدموا إليه أفواجاً أفواجاً، من كل فج عميق مشاة وركباناً، رجالاً، ونساء، ليقوموا بمناسكه، ومقدمين بين أيديهم الهدايا والنذور،[٢] وهو ما حفظته لنا المصادر الإسلامية، حيث لم يردنا شيء من النصوص ما يشير إلى نسك حج وأداء شعائر، في غير الحج إلى بيت الله الحرام والمشاعر حوله، والتي أقرت ملْة الإسلام معظم شعائره بعد أسلمتها وجعلها خالصة لله عز وجل، وركناً من أركانه، يلتزم المسلم كمال الإيمان به،[٣]وتشير الروايات العربية أن قصد الحج الى مكة يرجع إلى زمن ما قبل سيدنا آدم عليه السلام وخلقه بألفين عام، وأن الملائكة عليهم السلام خاطبت أدم عليه السلام قائلة له: " بر حجك يا آدم، حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام "، كما تشير الروايات إلى أن أكثر من تسع وتسعين نبياً قاموا بالحج لمكة ودفنوا بها ومنهم نوح، وهود، وصالح، وشعيب،وموسى عليهم السلام، وجاء في روايات أخرى أن خمسة وسبعون نبياً، حجوا البيت وصلوا في مسجد منى.[٤] ويرتبط تاريخ ومناسكه تاريخياً ببناء البيت في عهد سيدنا إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام،[٥] الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً، وهو أول بيت وضع للناس رمزاً للعبادة، قال تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦ (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ.[٦].

---

(١) العنقاوي، مكة، ص ٣٣.

(٢) محمد نعمان الجارم، أديان العرب في العصر الجاهلي،ط١، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م،ص ٦٠.

(٣) جواد علي، المفصل، ٣٥١/٦ – ٣٥٢.

(٤) أبو الوليد الأزرقي، تاريخ مكة، تحقيق سعيد عبد الفتاح، ط ١، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م،ص ٩٣ – ٩٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ٤٦٣/٤ – ٤٦٥ ؛ محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ٢٢٨/١ – ٢٣٠.

(٥) الأزرقي، تاريخ مكة، ٩١/١ – ٩٢ ؛ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ١٣٣/١ – ١٣٤ ؛ الحموي، معجم، ٤٦٥/٤ ؛ علي بن أبي الكرم ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، ٦١/١ – ٦٢.

(٦) سورة أل عمران، آية: ٩٦ – ٩٧.

وتتابع أداء تلك الشعيرة في مكة في العصور التاريخية اللاحقة، ففي عهد جرهم استمرت تلك الشعيرة مع ما تخللها من أمور كثيرة قامت بها جرهم،أضفت الى قلة قدوم الحجيج إلى مكة بسبب بغيهم، واعتدائهم على القوافل والتجار، والحجاج الوافدين، والمارين بمكة، مع احتفاظ بعض بطون كنانة من أبناء إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ببعض مناصب الحج[١] وحين تولت خزاعة أمر مكة وأخرجت جرهماً، بدأت محاولات خزاعة في إعادة تنظيم الحج، والتوسع فيه وتشجيع القبائل المحيطة بها إلى القدوم لمكة،[٢] حيث قام زعيمها عمرو بن لحي بإعادة نشاط مكة الديني، بعد أن تدهور على أيدي الجر هميين،[٣]وفي عهد قريش ظهرت مكة كمركز ديني واجتماعي، منذ أن تولى قصي بن كلاب، الزعامة في مكة حوالي منتصف القرن الخامس الميلادي، حيث شهدت مكة نهضة أدبية، ودينية، واقتصادية. [٤]

على أثر قيام قصي بتنظيم مكة من جميع جوانبها عامة وخاصة تلك الوظائف المرتبطة بالحج كالنفرة، والحجابة، والسدانة،والسقاية،والرفادة..... وغيرها،[٥]وكذلك تشير الروايات العربية إلى حج الملك الساساني ساسان بن بابك لمكة في عهد جرهم وطاف بالبيت العتيق، وزمزم، وأهدى للكعبة غزاليين من ذهب، وجواهر وسيوف، وان جرهم قذفت بالغزليين في بئر زمزم قبل خروجها من مكة وردم زمزم[٦] كما تشير الروايات العربية إلى حج الإسكندر الأكبر (المقدوني) لمكة، بعد أن زار صنعاء وسار إلى تهامة، ومنها إلى مكة، في زمن خزاعة، وانه قابل النظر بن كنانة، وقام بأداء مناسك الحج، وفرق الهبات بين أبناء معد بن عدنان ابن إسماعيل القاطنين بالحرم، وأنه ناصرهم في إخراج خزاعة من مكة وجعلها لأبناء معد[٧] ومن الجدير بالذكر أن قريش فرضت على القادمين لمكة للحج أو العمرة، أن لا يطوفوا بالبيت إلا عرايا أو بملابس أحمسيه

---

(١) عماد الدين، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، الجيزة، دار الفكر، بدون تاريخ، ١٨٣/٢

(٢) عبد الملك بن هشام، سيرة النبى صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار الفكر، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، ١٢٥/١ ؛: أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٥م، ص ١٢١، ١١٦.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٨٣/٢ ؛ الشريف، مكة والمدينة، ص ١١٧.

(٤) ابن هشام، سيرة النبى، ١٣٠/١ – ١٣١ ؛ الطبري، الأمم والملوك، ١٥/٢.

(٥) ابن هشام، سيرة النبى، ١٣٧/١.

(٦) على بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت ،دار المعرفة، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ٢٤٢/١.

(٧) أحمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، تصحيح فلادمير جرجاس، ليدن، مطابع بريل، ١٨٨٨م، ص ٣٦.

(مآزر أحمسية)، وهي مآزر كانت قريش تعدها خصيصاً للحجاج، وقد تكون هي أصل ملابس الإحرام في الإسلام الغير مخيطة،[١] فخصصوا ملابس خاصة بالحج هي ملابس (الإحرام) أو ربما استعملوا ملابس جديدة، أو مستعملة بعد غسلها جيداً تقديراً لحرمة البيت القادمين إليه، فلا يجوز لهم دخول المواضع المقدسة بملابس متسخه ودنسه، كما كان يوجب بعضهم على نفسه الغسل، عند اعتزامه الحج.[٢]

والأمر كذلك بالنسبة لسكان بلاد العرب الجنوبية كانت تحج إلى مكة،وتؤكد الروايات أن تبا بعتها (حكامها) عظموا مكة وقدسوا بيتها واجلوه،وتشير أحد تلك الروايات: أن ملك حمير "تبان أسعد أبا كرب"، كان أول من كسا البيت وعظمه وأوصى ولاته من جرهم، بتعظيمه، وكسوته، وتطهيره، وأن لا يقربوه دماً ولا ميتة، وانه أول من جعل له باباً ومفتاحا،[٣] وكذلك من مشارف الشام والعراق، فلم يكن مقصوراً على أهل مكة وما جاورها، حيث يقدمون الى مكة في أشهر معلومة تعرف عندهم بالأشهر الحرم، يؤدون فيها مناسك الحج وشعائره، ويتبادلون المنافع، ويعقدون مجالسهم ومفاخرهم في موسم جعلوها من أعظم مواسمهم.[٤]

لقد ارتبط الحج بالحياة الاجتماعية، والاقتصادية للعرب جميعاً ارتباطاً قوياً، وكان له أثره على معظم جوانبهم الحياتية وعلى اختلاف عقائدهم، وعباداتهم، فكانوا يتوافدون إلى مكة – البيت الحرام – من كل أنحاء شبه الجزيرة العربية، وقد كانت شعائر الحج في مكة في العصر الجاهلي تقام وفق أقسام ثلاثة أولاً: ما كان يتبع فيه شعائر إبراهيم الخليل عليه السلام، دون تبديل، وهو موافق لإسلافهم خلفٍ عن سَلَف.

ثانياً: الذي بدلوا دينهم، وأدخلوا عليه عبادة الأصنام، فخلطوا فيه بين أعمال الحج المشروعة منذ عهد إبراهيم الخليل عليه السلام، وبين تقربهم لأوثانهم وأصنامهم حيث يهلون بها، ويتحللون عندها.٣

---

(١) الشريف، مكة والمدينة، ص١٩٦.

(٢) جواد على، المفصل، ٦/ ٣٩٥.

(٣) ابن هشام، سيرة النبى، ١/ ٢٠ – ٢١. في الحقيقة أن علاقات الحجاز ومكة خاصة ببلاد العرب الجنوبية علاقات مبكرة، ارتبطت بمعظم حضاراته منذ وقت مبكر جداً، ترجع إلى زمن الدولة المعينية و السبئية، والحميرية وغيرها، وبتلك المستعمرات التابعة لها في أطراف شبه الجزيرة العربية الشمالية الغربية، التي شكلت محطة مهمة للقوافل بين الشمال والجنوب، بل إن سكان مكة القدامى من جرهم وخزاعة هم في الأصل قبائل يمنية مهاجرة من جنوب غرب شبه الجزيرة العربية. انظر: الشريف، مكة والمدينة، ص ١٧٣.

(٤) الشريف، مكة والمدينة، ص ١٩٢ – ١٩٣.

ثالثاً: من أضْفَى على أدائه لشعائر الحج سماتٍ خاصة، لا يشتركون فيها مع غيرهم كفعل قريش وبعض القبائل المتصلة بها، التي ابتدعت لنفسها أموراً في الحج وأطلقت على نفسها أسم الحمس.[١]

انه ليس من المؤكد في الوقت الحاضر الربط بين مدلول الحج في تلك الحضارات، بالحج المعروف عند أهل مكة، فقد يكون حجها في أشهر غير تلك التي اشتهر بها شهر ذي الحجة والمرتبط بشعائر مكة المكرمة، وبيتها الحرام، حيث كان للعرب بيوتاً أخرى يحجون إليها في أشهر الحج، ولم تقتصر على مكة فقط، بل إلى بيوت أخرى يتقربون بها عند أصنامهم ويذبحون عندها،[٢] ومع كون مكة وبيتها المعظم حرماً لا يضاهيه بيت مقدس آخر عند العرب[٣] فقد كان هناك بيوتات أخرى في بلاد العرب عظمتها كتعظيمهم الكعبة، ويحجون إليها ويذبحون عندها، وكان لها سدنتها وحجابها، إلا أنها بيوت خاصة لم تبلغ مكانة بيت مكة وحرمتها[٤] ومن أشهر تلك البيوت:١ – بيت مأرب ٢– بيت صنعاء ٣ – بيت الأقيصر ٤ – بيت نجران ٥ – ذو الخلصة ٦ – بيت رضى ٧ – بيت غطفان ٨ – بيت القليس.

القرابين والأضاحي:

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة أن معظم العادات المتبعة في شعيرة الحج من تقديم القرابين والأضاحي والرجم كانت ظاهرة في معظم الحضارات القديمة، فعادات التضحية وتقديم القرابين

---

(١) الجارم، أديان العرب، ص ٦٠

(٢) جواد علي، المفصل، ٣٥١/٦.

(٣) عطار،الكعبة والكسوة، ص ٢٠، ٦٤.

(٤) الشريف، مكة والمدينة، ص ١٨٣.

ظلت عادات العرب في أداء شعائر الحج وفق ما توارثوه على مر السنين واستمرت إلى ما بعد أن من الله على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بفتح مكة في العام الثامن من الهجرة، ثم بدأت أعمال التغيير في كل المعتقدات الفاسدة التي كان عليها العرب، حيث قام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بتحطيم الأصنام حول الكعبة في حين ظلت مراسم الحج على عادتها، وفي العام التاسع للهجرة النبوية الشريفة بعث المصطفى صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق رضي الله عنه أميراً لحج ذلك العام، ثم الحق به سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قبل أن يصل الحجيج إلى مكة ليبلغه بقول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هُذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. التوبة: ٢٨، وليعلن سيدنا علي بن أبي طالب، بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم تخليص الحج مما علق به من عادات العرب وحجب بيت الله الحرام والمشاعر حوله من كل موروثات الشرك، والمشركين قائلاً: أيها الناس: إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد اليوم مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو مدته، وأحل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل قوم إلى مأمنهم أو بلادهم " . انظر: ابن هشام، سيرة النبي، ٢٠٠/٤ – ٢٠٥ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٢٩٧/٢ ؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٩٨/٢ – ١٩٩.

ترجع إلى زمن آدم عليه السلام وبالتحديد لزمن أبني آدم هابيل وقابيل حيث قدم كل منهم قربان فقدم قابيل من ثمار الأرض بينما قدم هابيل ذبيحة من أبكار أغنامه. وقدم إبراهيم الخليل الخبز والخمر و العجول والماعز والكباش والحمام واليمام[1] كما قدم ابنه إسماعيل وافتداه الله بكبش عظيم، وقدم المسيحيون الخبز والماء قرباناً كتعبير عن تضحية المسيح بحسده ودمه،والتضحية والقرابين عرفتها معظم الشعوب القديمة وبأشكال مختلفة منها الحيوانية وكذلك البشرية ومنهم الكنعانيين والفينيقيين، والفرس والروم كذلك إضافة لعظم شعوب أسيا.

الخاتمة:

هكذا نجد أن هناك علاقة قوية بين الرحلات الدينية الجماعية المقدسة و بمدلول الحج لدي الشعوب القديمة، وأن هناك تشابه كبير في المظاهر الدينية لدى شعوب العالم القديم، ومنها تلك الرحلات الدينية المقدسة، حيث تتجمع تلك الشعوب لتنطلق نحو مواقع محددة للاستعداد للقيام بشعائر وطقوس، جماعية يصاحب بعضها احتفالات ضخمة، في يوم معلوم من السنة لمرة أو أكثر، لتنطلق في شكل جماعي إلى أماكن مخصصة تتصف بالطابع المقدس، في زى موحد يغلب عليه طابع البياض، الذي يعد من أبرز ظواهر الألبسة التي ترتبط بأداء الشعائر الدينية،لدى معظم الشعوب القديمة.

لقد عرفت شعوب العالم القديمة ظاهرة الرحلات الجماعية المقدسة، كأمر ديني مخض، فقد عرف المصريون القدامة تلك الرحلات الجماعية، وكانوا يخرجون في شكل جماعات نحو منف وطيبة وغيرها، وبنفس طريقة عرفتها شعوب بلاد الرافدين إلى بلاد (نفر) و(أور)، وشعوب سوريا القديمة، حيث كانوا يخرجون إلى الأماكن المرتفعة،وإلى (بيبلوس) حيث المعبد الفينيقي،كما عرفت بلاد الإغريق واليونان تلك الرحلات المقدسة، وكذلك الرومان من بعدهم، حيث يخرجون إلى معابد دلفي وأفسوس في بلاد اليونان، وجوبتير،في روما.

كماعرفت تلك الرحلات الدينية الجماعية شعوب أسيا، فقد عرفتها الشعوب الهندية، وكذلك الشعوب الصينية واليابانية.

---

[1] التوراة: تكوين، ١٧٠

وكذلك عرفها اليهود فكانوا يخرجوا في العام مرة ومرتين وأكثر في السنة إلى تابوت العهد في القدس منذ دخوله أرض كنعان في حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وفي العصر الروماني وبعد تدمير الهيكل كانوا يتجمعون عند جزء من أسوار المسجد الأقصى، فيما يعرف بـ حائط (البراق).

وعرفها المسيحيين فكانوا يخرجوا إلى بيت المقدس، وجعلوه محجة لهم كما فعل اليهود، وخاصة بعد اعتراف الإمبراطورية الرومانية بالمسيحية ديانة رسمية للدولة، وعلى اعتبار أن السيد المسيح عليه وعلى رسولنا الكريم السلام حج للقدس وتعلم فيها، وأوعظ، وخاصة بعد رحلت الإمبراطورة هيلانة إلى القدس وتعميرها لكنيسة القيامة في القرن الرابع الميلادي.

وهكذا نري أن تلك الظاهرة الدينية منتشرة بين معظم شعوب العالم القديم، والتي تتشابه وبشكل كبيرة بينها وبين شعائر الحج لدي شعوب العربية القديمة في شبه الجزيرة العربية، في حجهم أو رحلتهم المقدسة الى بيت مكة، وبيوت عبادة أخرى منتشرة في إطراف جزيرتهم، وخاصة الحج إلى مكة، والتي ترجع المصادر الإسلامية تاريخه إلى زمن آدم عليه السلام، وتقرن تنظيمها في مكة، إلى زمن إبراهيم الخليل عليه السلام منذ الألف الثاني قبل الميلاد، واستمرارها في العصر الإسلامي بعد تهذيبها وتمشيها مع العقيدة الإسلامية كأحد أركان الإسلام، حيث تشترك معظم تلك الشعوب في أداء تلك العادة الدينية في شعائرها وطقوسها، بالتوجه فيها إلى معبوداتها (ألهتها)، وفق شعائر ومناسك تعبدية تقام في شكل جماعي وسط ابتهاج وسرور وتنتهي بأعياد شكر، لزيارة أماكن مقدسة، وزيارة أصحابها، في أيام وأوقات معلومة، وفق طابع مقدس، لكونها أيام دينية بحته. وبألبسة موحدة يغلب عليها البياض، وهو المدلول اللفظي للحج كما وردت في النصوص الفرعونية بمعنى البياض أي الطهارة والنقاء والقداسة، وانتقلت بمدلولها عبر التاريخ في اللغة القبطية واليونانية وكذلك في اللغة العربية الفصحة.

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبة وسلم

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

العربية

- التوراة

- الإنجيل
- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق احمد عبد الغفور عطار.
- أبو الوليد الأزرقي، تاريخ مكة، تحقيق سعيد عبد الفتاح، ط ١، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- أحمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، تصحيح فلادمير جرجاس، ليدن، مطابع بريل، ١٨٨٨م.
- أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٥م.
- أحمد عبد الغفور عطار،الكعبة والكسوة (منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم)، ط١، بيروت، منشورات وزارة الحج،المملكة العربية السعودية، ١٩٧٨م.
- اسحق عبيد، "قصة عثور القديسة هيلانة على خشبة الصليب أسطورة أم واقع"، المجلة التاريخية المصرية، عدد ١٧،١٩٧٠م.
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، بيروت، دار العلم، ١٩٧٨م.
- خليل سركيس، تاريخ القدس المعروف بتاريخ أورشليم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١م.
- عبد الله سليم، تاريخ فلسطين القديم بين الأساطير التوراتية وحقائق التقنيات الأثرية.
- عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- علي بن أبي الكرم ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- عبد الحميد زايد، القدس الخالد، تقديم عبد العظيم رمضان، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.
- عبد الحميد زايد، القدس الخالد، تقديم عبد العظيم رمضان، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.

- عماد الدين، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، الجيزة، دار الفكر، بدون تاريخ.

- على بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت ،دار المعرفة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- عبد المعطي بن محمد سمسم، المزارات الدينية في مصر والشام وبلاد الرافدين في القرن الرابع الميلادي في ضوء رحلة إيثريا Etheria ،حوليات آداب عين شمس، المجلد ٤٢، ابريل -يونية ٢٠١٤ م.

- عبد الملك بن هشام، سيرة النبى صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار الفكر، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مصر، المطابع الخيرية، ١٨٨٨م.

- محمد خليفة حسن احمد، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، القاهرة، دار قباء، ١٩٩٨م.

- نديم عبد الشافي السيار، المصريون أول الحنفاء، القاهرة، ج١،مكتبة حراء، ٢٠٠٤م.

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.

- محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح محمد بهجة الأثري، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

- محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم في بلاد العرب، لجنة التأليف والترجمة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٠هـ.

- مؤلف مجهول، تاريخ ملوك القسطنطينية، تحقيق أ.د. طارق منصور، نشر مصر العربية، القاهرة، ٢٠٠٨.

- محمد نعمان الجارم، أديان العرب في العصر الجاهلي،ط١، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

- محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، عادات وتقاليد الشعوب القديمة، بغداد، جامعة الموصل، دار الكتاب للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

- هدى درويش، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية اليهودية- المسيحية – الإسلام،ط١،عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية،الجيزة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- هارفي بورتر، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ط١، القاهرة، مكتبة مدبولي،١٤١١هـ/١٩٩١م

- ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

المعربة

- إ. س. سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، ترجمة حسان مخائيل اسحق، دمشق ٢٠٠٦.

- ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، مراجعة طه حسين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.

- جيمس هنري برستد، انتصار الحضارة (تاريخ الشرق الأدنى القديم)، نقله للعربية احمد فخري، القاهرة، مكتبة الانجلوا المصرية، بدون تاريخ.

- سبتينو موسكاني،الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر، بيروت، دار الرقي، ١٩٨٦م.

- و.ل. ديورنت، قصة الحضارة، موقع الوراق الكتروني.

- كارين أرمسترونج، القدس: مدينة واحدة، عقائد ثلاث،ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م.

- هيرودوت، هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، تقديم وشرح احمد بدوي، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

الأجنبية:

Adel Farid Tobia, h?d=agios=agioc = حاج and other Egyptian Words, Hieroglyphic, Demotic and Coptic survived in Modern Spoken Egyptian and Classical Arabic, Abgadiyat vol. 3(Alexandria 2008).

Josephus, Complete Works, Eng. trans. W. Whiston, London, 1981.

R. Vaux, Histoire ancienne d'Israel, Paris, 1971.

S. Yeivin, "the Sepulchers of the Kings of the House of Davis," Journal of Near Eastern Studies, 7(1948).